ARCHEVECHE GREC-ORTHODOXE
BEYROUTH

مطرانية الروم الأرثوذكس
بيروت

النشـــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٩٧/٤٧
الأحد ٢٣ تشرين الثاني
تذكار أبوينا الجليلين في القديسين
غريغوريوس أسقف أكراندينون
وأمفيلوشيوس أسقف أيقونية
اللحن السادس
إنجيل السحر الأول

الـــرســـالـــة (أفـــســـس ٢ : ٤ - ١٠)
الإنـــجـــيـــل (لـــوقـــا ١٢ : ١٦ -٢١)

*** العبادة المسيحية**

+أبعاد الليتورجيا

الحديث عن العبادة والصلوات هو كلام نظري، ومهما تكلّم الإنسان يبقى كلامه مجرد كلام ما لم يختبر السامع فعلاً ما يُحدَّث عنه. لذلك تبقى الخـــبرة المدرســـة الأولـــى للتعلّـــم والوعي في حقل العبادة، ولكي يدركها الإنسان يجب ان ينظرها ويتذوقها، يحضرها ويشترك فيها: ''ذوقوا وانظروا ما أطيب الربّ''.

العبادة خبرةٌ تشمل الكنيسة بكافة أعضائها. عندما نجتمع معاً للعبـــادة نفعـــل ذلـــك كأعضاء في الكنيسة التي تتجاوز كل مجتمع وزمان ومكان. ورغم اننا نجتمع فـــي وقـــت محدد ومكان معيّن يتجاوز فعلنا حدود الرعية ليصل الى ملكوت الله الذي هو خارج الزمـــان والمكان، كوننا نعبده مع الملائكة والقديسين والأحياء والأموات.

للعبادة الأرثوذكسية بُعدان ينعكسان في كل خِدَمِ الكنيسة وصلواتها: انـــها تجلّـــي الله وسط شعبه وجواب الجماعة الشكري لحضور الله.

فالعبادة هي تجلّي حضور الله وعمله في وسط شعبه. الله هو الذي يجمـــع شعبــه المشتت معاً وهو يعلن نفسه لنا فيما ندخل الى حضرته.

يعيش المؤمنون في زمن مسّه كلمة الله عندما تجسّد فيه فقدّسه. إنســياب الســنوات والأشهر والأسابيع وتناوب النهار والليل هما أكثر من مجرد مرور بســيط للوقــت. إنـــهما يشكلان أيضاً اللحظات المهمة الفاصلة في الزمن مثل تجسّد كلمة الله وعيشه بيننا. فولادتـــه وموته وقيامته وصعوده الى السماء اي الأحداث ابتي يُبنى عليها خلاصنا حدثت مرة واحـــدة الى الأبد لكنها في إنسياب الوقت وانتظامه تُختبر وكأنها جديدة ويُحتفل بها وتُستعاد من أجــل الذاكرة. في كل حدث ليتورجي نحن نواجه المسيح ونلتقي به، وقد مات مرة وهو حيّ الآن، أو ’’هو هو امساً واليوم والى الأبد‘‘ (عبر ١٣: ٨). في كل حدث ليتورجي يقدم لنا المسيح عمله الخلاصي الماضي وكماله في الملكوت. في وسط تدفق الوقت تقودنا الصلاة الى منتهى الأزمان. الرب يسوع هو ’’الجالس في الأعالي مع الآب والحاضر معنا بحال غير منظور‘‘ (صلاة قبل المناولة في القداس الإلهي)، وهو الذي سوف يأتي ليدين الأحياء والأموات، ولـــن يتركنا أبداً: ’’ها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر آمين‘‘ (متى ٢٨: ٢٠). العبادة تقـــدم لنا الأحداث الخلاصية لكي نحياها من جديد وكأننا في حضرة الله وأعماله.

على هذا الأساس نحتفل كل سنة بالأسبوع العظيم لكي ندخل مع يسوع الى أورشليـــم ونتأمل معه ثم نقوم معه ونصعد الى السماء. كذلك نرتل كل يوم أحد: ’’اليوم صار الخلاص للعالم فلنسبّح الذي قام من القبر عنصر حياتنا...‘‘. نحيا الخلاص وكأنه حاصل الآن. على هذا الأساس أيضاً نطلب في كل صلاة غروب وسحر وقداس إلهي ’’ان تكون أواخر حياتنا مسيحية سلامية بلا ضرر ولا خزي وجواباً حسناً لدى منبر المسيح المرهـــوب‘‘. يســوع الديّان العادل سوف يجازي كلا منا على أعماله: ’’فالويل للذين يطلبون ان ينظروا يوم الرب الرهيب اذ هو ظلام وقتام، لأنه بالنار سيختبر الأشياء كلها‘‘ (صلاة الدفن). عبادة الكنيســة الأرثوذكسية تعبر بقوة عن حقيقة سكنى الله بين شعبه واننا خلقنا للشركة معه.

(يتبع)

<u>* الموسيقى البيزنطية المقدسة (تابع)</u>

رأينا في عدد سابق ان هدف الموسيقى البيزنطية روحي لأنها وسيلة للعبادة والإكرام أولاً، كما انها وسيلة لبلوغ الكمال الذاتي عبر إظهار أفكار الإنسان ومشاعره السامية وتغذيتها، واقصاء المشاعر الدنيا.

لكي تستطيع الموسيقى البيزنطية ان تحقق هذه الأهداف المهمة، يجب ان يُؤدّي معينة من قِبَل أشخاص أكفاء. يجب ، بالدرجة الأولى، ان ترتل في حالة من الصحو الداخلي وبخوف الله وبإخلاص واتضاع. لذا، حكم مجمع ترولّلو (الذي دعي لسن قوانين ضرورية للقضاء على بعض الشواذات ولتنظيم شؤون إدارة الكنيسة الداخلية، سنة (٦٩١ – ٦٩٢) في القانون ٧٥ ان ''الذين يرتلون في الكنائس إنما يفعلون ذلك لله، عالم الخفايا، بكثير من الإنتباه والخفر''. ويعلّق القديس يوحنا الذهبي الفم على ما يقوله الرسول بولس بخصوص الترتيل في قلوبنا للرب بالمزامير والترانيم والأغاني الروحية، أننا مأمورون ان لا نرتل فقط بأفواهنا بلا وأيضاً فيما نحن في حالة صحو روحي، لأن ''هذا هو الترتيل للرب، فيما عكس ذلك هو الغناء في الهواء''. ويقول القديس سمعان اللاهوتي الجديد: ''على المرء ان يترنم، اي ان يصلي بالفم ، بمخافة الله وبتقوى وانتباه''. ويعلّق على هذا لاحقاً بقوله: ''اذا سألوك ان تكون قائداً للجوقة، لا تفعل هذا بتهاون وكسل، إنما بانتباه كبير وكأنك توزع الكلمات الإلهية، بصوتك وحركات يديك، على اخوتك أمام ملك الكل، المسيح''. كما يلاحظ، في وضع آخر ، ان الذي أصبح متواضعاً ، كما يجب على كل مسيحي أن يكون ، بإمكانه ان يرتل ترتيلة جديدة للرب، اي ان يقدم الشكر له بقلب خاشع ونقي، لأن القلب النقي هو الذي يكون خاشعاً ومتواضعاً. وكل ترتيل آخر غير هذا هو باطل وغير نافع. فالذي لا يرتل هكذا لا يستطيع محادثة الله بالصلاة حتى ولو بذل الجهد الكبير في هذا السبيل. مثل هذا الإنسان يمكنه ان يرتل وان يقدم الصلوات بشفتيه، فيما يكون فكره منشغلاً ، بكل الأمور التي تستجلب غضب الله.

اما عدم الحماس في الترتيل فهو مُدان من الآباء. هذا واضح في قول القديس مكسيموس المعترف (٥٨٠ – ٦٦٢): ''كرِّس نفسك للترتيل والصلاة بك كسل''. إلا ان الترتيل العالي والقوي بدون داعٍ هو مُدان أيضاً. فالقانون ٧٥ من مجمع ترولّلو ينص: ''إننا نأمر المرتلين في الكنائس ان لا يلجأوا الى الصراخ والى الترتيل غير المنظم''.

وفي تعليقه على كتاب ''سلّم الفضائل'' للقديس يوحنا السلّمي، يشدد القديس إرمياء السينائي (القرن ١٨) على الحاجة الى المحافظة على الوقع الزمني الملائم في الصلاة والترتيل، بدون إبطاء او استعجال، كما هو لائق. كما انه يشدد على أهمية اداء كل مقطع ''بكلية وكمال''. وبما ان نغم المزمور او الترتيلة وسرعة ادائه يساعد على ابراز معنى الكلمات، والكلمات تعطي بدورها جرساً موسيقياً، يجب على الإثنين (أي النغم والكلمات) أن يؤدياً كما هو واجب ولائق. يجب على كل مقطع وكل كلمة ان ترتل بحيث لا ينحجب المعنى او يتشوّه. يجب تجنّب التنفس في الوقت غير المناسب وتقطيع الجمل في غير مكانها

والتشديد على ما ليس ضرورياً التشديد عليه. هذا أمر مهم جداً، خاصـــة اذا تذكرنـــا قـــول الرسول بولس، وهو القول الذي يردده الآباء، انه يجب علينا ان نعلّم وان نعـــظ بـــالمزامير والتراتيل والأغاني الروحية.

<u>* حول الأب الروحي والطاعة (تابع)</u>

<u>+طريق الطاعة والتواضع:</u>

لا تُكتَسب فضيلة التمييز إلا بالتواضع. ويبدأ التواضع بالركون الى رأي الآخر فـــي كل شيء.

إن ارادتنا الذاتية هي التي تمنعنا من أن نكون متّحدين مع الله. وطريق الطاعة هـــي الطريق الأقصر لتحقيق هذا الإتحاد. فهي تبطل الحاجز الرئيسي امـــام التألـــه: اي ثقتنـــا بأنفسنا.

لا يحتاج الأب الروحي الى مواهب خارقة، بل يجب ان يتحلّى بـــالصبر اللامتنـــاهي والحب اللامتناهي. بهذا فقط يصبح شبيهاً بالله.

ويجتمع الألم والفرح في قلب الأب الروحي اجتماعاً وثيقاً: ألـــم الـــولادة (الصـــبر والنصح والرحمة)، والفرح لرؤية الإبن يُخلق في الرب وينمو ’’الى إنسان كامل الى قيـــاس قامة ملء المسيح‘‘ (أفسس ٤: ١٣).

بعصياننا ابتعدنا عن الرب، ولن نعود اليه الا بالطاعة. اذا أطعنا فـــهذا يعنـــي اننـــا متألهون على صورة لامسيح الذي كان مثالاً للطاعة حتى الموت.

قُلْ في نفسك ان الهمّ الوحيد لأبيك الروحي هو خلاصك وتألّهك ولهذا فهو يصلّي الى الآب في السرّ، ولهذا أيضاً يعظك ويوبّخك ويعاقبك. عندما يذلّك اشكرْ الرب لأنه بهذا يأمل ان يجعلك مماثلاً للمسيح ، فتكتسب التواضع الذي بدونه لا يمكن ان يكون نصيب في الروح القدس.

وقد يطلب الأب الروحي من تلميذ المسيح أحيانا شيئا غير منطقي: أن يسقي مثـــلا احجار القرميد حتى يجعلها تزهر. ويكون هذه لمساعدة التلميذ على تخطي مرحلة التفكـــير المنطقي البسيط، وعلى الدخول عن طريق التواضع الى نور الله الذي يفوق كل إدراك.

<u>+ التلاميذ الحقيقيون:</u>

المعلمون الروحيون نادرون، وأكثر ندرة هم التلاميذ الحقيقيون. فأين هـــو الإنســـان المتواضع؟ الإنسان الذي لا يفعل مشيئته بل مشيئة الذي أرسله؟

الله ليس نظرية، ولا قانونا مجردا ، او نظاما ينبغي حل رموزه، إنه شخص. لذلـــك فإننا لا ندين بالطاعة لقانون او لنظام، بل لشخص. وفي أديارنا نحن لا نطيع النظـــام بـــل رئيس ديرنا. والطاعة جزء من العلاقة **فكلما أحببنا أصبح من السهل علينا ان نطيع** الـــذي

يأمرنا، بل تصبح هذه الطاعة فرحنا الأكبر. والذي يحبُّ الرب لا يجد اية صعوبة في تطبيق قانون الرب، بل ينطلق فرحاً في درب وصاياه.

لم يفكر الفريسيون الا بحرفية الوصايا، ونسوا ان يحبوا هذا الذي طلب حبهم أكثر من تضحياتهم. والذي يحب رئيس ديره (أو أباه الروحي) برهبة واحترام بجد الكثير من العذوبة في تطبيق ما يطلبه ويتجرّد من كل قلق.

ان الأب الروحي هو أكثر منتظام، انه الواسطة التي يختار الرب ان يعطينا اياها حتى يعرّفنا مشيئته. **وعلى الذي وُهِبَ نعمة الأبوة الروحية ومسـؤوليتها الا ينسى ان يكـون انجيلا متجسداً.** فإذا اخل بجزء صغير من مسؤولياته فإن الرب يحاسبه عليه في يوم الدينونة ويطلب منه نفوس الذين اوكلوا اليه.

كثيرون يمدحون قداسة أبيهم الروحي، الا انهم يتجنّبون تقليده وكثيرون ايضاً يردّدون اقوال ابيهم الروحي دون توقف ولكن دون ان ينفّذوها. انهم يشبـهون القـرود ويشوّهـون بحركاتهم جمال أبيهم.

في العلاقات مع الأب الروحي خطران: خطر العبادة وخطر التذمّـر. إن هـو إلا رجل وليس إلهاً ، لكنه رجل أرسله الله اليك لكي تتطهّر. وإذا تذمّرت منه او فعلت أسوأ من ذلك أي أدَنْتَه، فكيف ترجو أن تخلص؟

منه مَن يغيّرون غالباً أباهم الروحي. من جهة لكي يتمتعوا برواية أخبارهم من جديد ، ومن جهة أخرى لكي لا يضطروا للطاعة في العمق. لا تُتعِب أباك الروحي بأخبار غـير مجدية. لا تسردْ عليه ماضيك ومشاريعك المستقبلية، بل أخبره بحالتك النفسية في الحاضر، وان تنال في الحاضر نعمة الغفران وقوة الروح القدس. فاذا أخبرته عمّا كا وعمّا لم يتمّ بعد، ففي أيّ حاضر يمكنه ان يودع عطية الرب؟

إذا لم تكن متواضعاً فلن تعرف عذوبة الطاعة ابداً، اذ ستقول: لِمَ أفعل هذا وليـس بالأحرى ذلك؟'' فتُصاب بالإرتباك. اما الذي يطيع فإنه مهما فعل يعيش في السلام.

مترجمة